

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسَادَهَا قَا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً
 مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
 صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا
 أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾]

يقول الله تعالى: [إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾] المتقون: هم الذين اتقوا الله ﷻ، بفعل أوامره، واجتناب
 نواهيه، وهم الذين يخشون ربهم بالغيب:

حلّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
 واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
 لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

التقوى: حال يقيمها الله ﷻ في قلب العبد، فتكون واعظاً له من تلقاء نفسه؛ كلما همَّ بمعصية قال:
 اتق الله! خف الله! خف اليوم الآخر! فيردعه. تقول فاطمة بنت عبد الملك: "كان عمر بن عبد العزيز،
 رحمه الله، يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فيتنفّض كما يتنفّض العصفور في الماء،
 ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمة له" (١).

إذا أراد الإنسان أن يقيس تقواه، فلينظر إلى حاله عند غيابه عن أعين الناس. لا تقس تقواك
 وأنت بين الناس؛ يركعون، ويسجدون، فتركع، وتسجد معهم، وهم يذكرون، فتذكر معهم. إذا
 أردت أن تقيس تقواك، فانظر إلى نفسك حينما تخلو، هل يردعك واعظ الله في قلبك أم لا؟ ها هنا
 التقوى.

[مَفَازًا] أي: مكان فوز، وقيل: متنزّها، وقيل: [مَفَازًا] أي: الجنة، كما فسرها ما بعدها:

[حَدَائِقَ]: جمع حديقة، وسميت بذلك، لأنها تحرق بالأشجار، والثمار، وأنواع ما يخرج من

الأرض.

(١) البداية والنهاية (٢٩٩/٩).

[وَأَعْنَبًا]: خص الأعناب بالذكر، لأنه من أكرم الثمار الذي تعرفه العرب. وهو لا شك ثمرة كريمة، وفاكهة طيبة. ولكن لا يخفى أن الأمر كما قال ابن عباس، رضي الله عنهما: "ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء"^(٢)، الأسماء واحدة، لكن الحقائق مختلفة، فليس عنب الجنة كعناب الدنيا، اتفقت الأسماء، لكن الحقائق، والمسميات متفاوتة، حتى إن ثمار أهل الجنة التي من شكل واحد، تتفاوت طعموها، قال الله ﷻ: **[كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ]** **[البقرة: ٢٥]** يعني: تكون صورته واحدة، فيظنون أنه هو الذي طعموا من قبل، فيجدون طعمه مختلفاً؛ لسعة كرم الله، وإغداقه عليهم من النعم. وعبر بهذين الوصفين **[حَدَائِقَ وَأَعْنَبًا]** عن لونين من ألوان النعيم الحسي في الجنة، وهما الأمكنة البهية، والثمار الشهية .

[وَكَوَاعِبَ أَنْزَابًا] **[٣٣]** هذا لون آخر من المتع الحسية؛ وهو الاستمتاع بالحوار العين، والكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي تفلك نهدها، واستدار. وهذا غاية ما يكون في الجمال، والرغبة في النساء.

[أَنْزَابًا] **[٣٣]** أي: متساويات الأسنان. فهم يرزقون هؤلاء الكواعب الناعمات، الأنبيات، الجميلات، التي يرى مخ ساق إحداهن من وراء سبعين حلة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءٌ وَجُوهُهُمْ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مَخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهَا" رواه الترمذي^(٣)، ولو اطلعت إحداهن على أهل الأرض لأشرق ما بين الخافقين. قال الله ﷻ: **[وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَنْزَابٌ]** [ص: ٥٢]، فهذا لون آخر من نعيم الجنة .

^(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦٦/١) مكتبة نزار مصطفى الباز.

^(٣) سنن الترمذي (٢٥٢٢)، وأصله في الصحيحين صحيح البخاري (٣٢٤٦)، صحيح مسلم (٢٨٣٤) من حديث أبو هريرة دون ذكر (سبعون حلة).

[وَأَسَا] الكأس: المراد به كأس الخمر، لكن أي خمر؟ قال تعالى: **[لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِفُونَ]**

[الواقعة: ١٩] يعني: لا تسبب لهم صداعاً وأذىً، وإنما هي خمر يلتذون بشرها، لا تضيع عقولهم ولا تصدع رؤوسهم.

[دِهَاقًا] أي: ممتلئة، ليست قاصرة ناقصة، وقيل: متتابعة، ما يكاد يشربها حتى تمتلئ من جديد، وقيل: صافية. ولا مانع من اجتماع جميع هذه الأوصاف، فتلكم الكأس، أذاقنا الله وإياكم طعمها، ممتلئة، مترعة، متتابعة، صافية.

[لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا] أي: أنهم قد صان الله أسمعهم أن يسمعوا اللغو الذي يحصل عادة بين المخمورين؛ لأن المخمورين إذا شربوا الخمر، فاهو بالكلام السوء، واللغو، والسباب، أما أهل الجنة فإنهم لا يسمعون هذا من جراء تعاطيهم لكأس الخمر. (لغوًا) اللغو: هو الكلام الفاحش البذيء، (ولا كذاباً) أي: ولا الكذب.

[جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا] ٣٦ يعني: أنهم يستأهلون، لكنهم إنما نالوا ذلك برحمة الله، لا بعملهم، فالله **عَلِيمٌ**، من كرمه، وفضله، ومنه، أنعم عليهم بهذه النعم العظيمة المتتابعة، التي أعمالهم لا تكافئ عشر معشارها، فقد أخبر النبي **ﷺ** قائلاً: " لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ. قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا إِلَيَّ، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدُّدُوا "متفق عليه (٤) فإن قلت: فما معنى قول الله **عَلِيمٌ**: **[وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]** [الزخرف: ٧٢] فالجواب أن الباء في الآية للسببية، يعني بسبب أعمالكم، فالباء المثبتة هي باء السببية، والباء في الحديث، هي المنفية، وهي باء المقابلة والثنائية.

وإن من معاني **[حِسَابًا]**، معنى الكفاية ومنه قول العرب: " أعطاني فاحسبني " يعني: حتى قلت حسبك.

[رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ] الرب: هو الذي يربي خلقه بنعمه، هو الذي ينشأ من العدم، هو الخالق، المالك، المدبر، فهو رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، ورازقه، ومدبر أمره، فالله

(٤) صحيح البخاري (٦٤٦٣)، صحيح مسلم (٢٨١٦) واللفظ له.

تعالى رب السموات، والأجرام العلوية، ورب الأرض، والآيات السفلية، سبحانه وبحمده، لا يخرج شيء عن ربوبيته.

الرَّحْمَنُ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا [مع أن المقام مقام مهول ومخوف، إلا أنه أتى بهذا الاسم الرقيق الذي يدل على الرحمة، ففيه يتنسّم المؤمن نسيم الرجاء، ولا ريب أن ذكر الأسماء الحسنى في ذيل الآيات، أو في أثناء الآيات له دلالة، ألم تروا أن الله سبحانه وتعالى قال: **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٣٨)]، ثم قال بعدها: **فَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ** [فختمها بقوله: **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** [المائدة/٣٩]، فكل اسم من أسماء الله الحسنى يناسب ذكره في سياق معين.

لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧)] أي: لا يستطيع أحد أن يتقدم بين يديه بقول، إلا ما أذن به .

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا] أي: إجلالاً لله، وتعظيماً لله، ومهابة .

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)] أي: لكمال إجلالهم، وتعظيمهم، وخوفهم، وخشيتهم الله عز وجل، لا ينطقون بينت شفة، **إِلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** هذا الذي يفسح له بالكلام. ويدخل في هذا الشفاعة؛ فإن الله سبحانه وتعالى، لا يأذن بالشفاعة إلا بشرطين: أذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له، فقوله: **أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ** يدل على الشرط الأول، وهو أذن الله للشافع أن يشفع، وقوله: **وَقَالَ صَوَابًا** (٣٨)] ربما يدل على الشرط الثاني، وهو ورضاه عن المشفوع له، وقد دل عليه قوله: **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** [{الأنبياء: ٢٨}]

الرُّوحُ]: قيل فيه أقوال عدة ، قيل : إن الروح ملك عظيم، خلقه يوازي خلق جميع المخلوقات. وقيل : هو جبريل عليه السلام. وقيل : هم بنو آدم. وقيل: هي أرواح بني آدم. وقيل: هو القرآن. والأقرب، والله أعلم، أنه جبريل ؛ لأن الله تعالى قال في سورة القدر: **(تنزل الملائكة والروح فيها)**. وإن كان قد وقع خلاف أيضاً، في تفسير الروح في سورة القدر، من أنهم طوائف من الملائكة، لكن نظراً لعظم خلق جبريل، وأنه سيد الملائكة لا عجب أن يخص بالذكر.

ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَقِّ] أي: يوم القيامة.

[**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾**] أي: مرجعاً وتوبة. فالإنسان يشاء، وله مشيئة حقيقية، خلافاً

للجبرية الذين يقولون العبد مسير، مسلوب المشيئة، مجبور على فعله. والحق أن العبد له مشيئة

حقيقية، ولكن هذه المشيئة داخلية تحت مشيئة الله؛ لقوله تعالى: [**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا**

نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾] [التكوير: ٢٨-٢٩].

[**إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا**] النذارة: هي الإخبار بالأمر المخوف. وضدها البشارة: وهي الإخبار

بالأمر السار. والمناسب لحال القوم النذارة؛ لأنهم منكرون، معاندون، ويوم القيامة ليس ببعيد،

قال ﷺ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرْنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَىٰ" (٥)، فأمرها

قريب، [**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٤﴾**] [الأحزاب/٦٣]. وهذا القرب قرب نسبي، لأنه

منسوب إلى مجموع خلق العالم، فلا يقال: كيف قال النبي ﷺ ذلك، وقد مضى على مقولته أربعة

عشر قرناً وزيادة؟ فالأمور لا ريب أنها نسبية.

[**يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**] المرء هاهنا: هو جنس الإنسان، وذهب الحسن، رحمه الله، إلى

أن المرء هاهنا هو المؤمن خاصة (٦)؛ بدلالة المقابلة، فإنه قال: [**وَيَقُولُ الْكَافِرُ**]، فالأول هو المؤمن،

والثاني هو الكافر. فكأنه رحمه الله، جعل ذلك من باب التقسيم.

[**وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾**] يتمنى الكافر، والعياذ بالله، أن لو كان تراباً، أي: أن لو كان

تحلل، وعاد كما كان في الحياة البرزخية. وقيل إن سبب تمنيه هذا، هو ما جاء في الآثار من أنه في يوم

القيامة، يقام العدل، حتى إنه ليقبض للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء؛ لأنها نطحتها في الدنيا، فعن أبي

هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ

الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ " رواه مسلم (٧) ثم بعد ذلك يقال لهذه الحيوانات: كوني تراباً! فيتمنى الكافر أن لو صار

بمنزلة الحيوانات، ليكون تراباً.

(٥) صحيح البخاري (٥٣٠١)، صحيح مسلم (٢٩٥٠).

(٦) تفسير الطبري (٥٤/٢٤).

(٧) صحيح مسلم (٢٥٢٨)، أما قول (كوني تراباً) فأخرجها الحاكم في المستدرک (٣٢٣١) وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي: على

شرط مسلم.

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: الرحمة الإلهية، فالجنة عطاء وفضل [جَزَاءً وَفَاءً] ٣٦ .

الفائدة الثانية: إثبات الجنة ونعيمها الحسي والمعنوي جعلنا الله وإياكم من أهلها.

الفائدة الثالثة: الاستئناس باسم الرحمن في تقوية الرجاء، قال تعالى: [الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا]

الفائدة الرابعة: إثبات الملائكة، وخشيتهم لربهم.

الفائدة الخامسة: إثبات الشفاعة بشروطها: [أَلَا مَنْ أَدْبَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا] ٣٨ .

الفائدة السادسة: إثبات المشيئة الإنسانية، والرد على الجبرية، لقوله: [فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا] .

الفائدة السابعة: قرب أمر الساعة، [إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا] ، فقرب العذاب، دليل على قرب

الساعة.

الفائدة الثامنة: بيان أعظم الندم، أجازنا الله وإياكم، قال تعالى: [وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا] .